

دلائل الإعجاز

(ولكننا يا أمّ عمرٍو نديمنا ... بمنزلة الرّيانِ ليسَ بعائِمِ) .
أسّـركِ . . . البيتِين .

فإِذا رُبَّ هَزَلٍ أَدَاةٌ فِي جِدٍِّ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتَدْعِينَ بِهِ عَلَى حَقٍِّ كَمَا
أَزَّهُ رُبَّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى شَرِيفٍ بِأَنْ ضُرِبَ مِثْلًا فِيهِ وَجُعِلَ مِثَالًا لَهُ .
كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ - الْكَامِلُ - :

(وَاللَّهِ قَدَّ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ ... مِثْلًا مِنْ الْمَشْكَاةِ وَالنَّيِّرِاسِ) .
وَعَلَى الْعَكْسِ فَرَبَّ كَلِمَةٍ حَقٍِّ أَرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الذَّمَّ كَمَا عَرَفْتَ مِنْ
خَبَرِ الْخَارِجِيِّ مَعَ عَلِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَرَبَّ قَوْلٍ حَسَنٍ لَمْ يَحْسُنْ مِنْ قَائِلِهِ
حِينَ تَسَبَّبَ بِهِ إِلَى قَبِيحٍ كَالَّذِي حَكَى الْجَاظُ قَالَ رَجَعَ طَاوُوسٌ يَوْمًا عَنْ مَجْلِسِ مُحَمَّدِ
بْنِ يَوْسُفَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ وَالِي الْيَمَنِ فَقَالَ مَا ظَنَنْتُ أَنْ قَوْلَ " سُبْحَانَ اللَّهِ " يَكُونُ
مَعْصِيَةً □ حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ سَمِعْتُ رَجُلًا أَبْلَغَ ابْنَ يَوْسُفَ عَنْ رَجُلٍ كَلَامًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ
أَهْلِ الْمَجْلِسِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَالْمُسْتَعْظَمِ لِذَلِكَ الْكَلَامِ لِيُغْضِبَ ابْنَ يَوْسُفَ .
فِيهِذَا وَنَحْوَهُ فَاعْتَبِرْ وَاجْعَلْهُ حُكْمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّعْرِ .

وَبَعْدُ فَكَيْفَ وَضَعَ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَكَ وَكَسَبَهُ الْمَقْتَةَ مِنْكَ أَنْزَلَكَ وَجَدْتَ فِيهِ الْبَاطِلَ
وَالْكَذِبَ وَبَعْضَ مَا لَا يَحْسُنُ وَلَمْ يَرْفَعْهُ فِي نَفْسِكَ وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ الْمَحَبَّةَ مِنْ قَلْبِكَ
أَنْ كَانَ فِيهِ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالْحِكْمَةُ وَفَصْلُ الْخِطَابِ وَأَنْ كَانَ مَجْنُونًا ثَمَرَ الْعُقُولِ
وَالْأَلْبَابِ وَمُجْتَمَعِ فِرْقِ الْأَدَابِ وَالَّذِي قَيَّدَ عَلَى النَّاسِ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةَ
وَأَفَادَهُمُ الْفَوَائِدَ الْجَلِيلَةَ